الفلسفة والطب عند جورج كانغلام

The Philosophy of Medicine by George Canguilhem

د. بن سعيد محمد Bensaidmed67@gmail.com	المركز الجامعي نور البشير-البيّض/ الجزائر

الإرسال: 14/ 04/ 2021 **القبول:** 26/ 04/ 2021 **النشر:** 14/ 05/ 2021

ملخص: جورج كانغلام Georges Canguilhem**(1904-1995)**، فيلسوف وابستيمولوجي ومؤرخ وطبيب، من جنسية فرنسية، اهتم بالابستيمولوجيا وفلسفة العلوم الطبية والبيولوجية، تميزت اسهاماته في هذا المجال، بتدشين تقليد فلسفي جديد يقوم على المزاوجة بين الفلسفة والطب، وذلك بتركيزه الكبير على أهمية البعد الفلسفي في الطب.لقد أراد كانغلام تأسيس مشروعية تاريخية وابستيمولوجية للفلسفة الطبية، تستهدف طرح مختلف المشكلات والقضايا الانسانية المصيرية الكبرى، كقضايا الوجود والتقنية، وحدود العلم، والبيوايتيقا، والحي والحياة، انطلاقا من اعتقاده أن المسافة بين الفلسفة والطب قصيرة بالمقارنة مع بعض القطاعات المعرفية الأخرى.

الاشكالية: كيف حدد جورج كانغلام طبيعة العلاقة بين العلم والفلسفة، من خلال علوم الحياة، لاسيما حقلي الطب والبيولوجيا؟ وما قيمة اسهامه الابستيمولوجي؟

كلمات مفتاحية: الفلسفة؛ الطب؛ فلسفة الطب؛ البيولوجيا؛ البيوايتيقا.

Abstract: Georges Canguilhem (1904-1995), a French philosopher, epistemologist, historian and physician. he was interested in epistemology and the philosophy medical and biological sciences. Besides, his contributions in this field were distinguished by the inauguration of a new philosophical tradition based on the combination of philosophy and medicine, with a great emphasis on the importance of Philosophical dimension in medicine. Canguilhem sought to establish a historical and epistemological legitimacy of medical philosophy, aimed at presenting various major fateful human problems and issues such as: issues of existence and technology, the limits of science, bioethics, that is based on his belief that the distance between philosophy and medicine is short compared to other sectors of knowledge.

The problematic: How did George Canguilhem define the nature of the relationship between science and philosophy, through life sciences, especially the fields of medicine and biology? What is the value of his epistemological contribution?.

Keywords : philosophy ; medicine, medical philosophy ; biology ; bioethics.

المنارة للاستشارات

- جورج كانغلام: سيرة ومسار فكري.

أ- الحياة والأعمال:

هو من مواليد 04جوان 1904 بمنطقة ريفية تدعى "كاستينلو داري" Castelnaudary" بالجنوب الفرنسي، تلقى تعليمه في مسقط رأسه، لينتقل عام 1921 إلى العاصمة باريس، ويتابع دراسته في ثانوية "هنري الرابع" ويتعرف على الفيلسوف "إيميل شارتيي"(Emile Chartier) الشهير بالاسم المستعار"آلان"(**Alain**)الذي عاش في الفترة مابين(1868-1951)، والذي أثر في بداية التكوين الفكري لكانغلام الشاب، تأثيرا بالغا، فلقد تعرف عليه وهو طالب ثانوي، درس على يديه لمدة ثلاث سنوات(1921-1924)، تعلم وتبنى الكثير من أفكاره حول طبيعة الحياة المسالمة، وأيضا دافع عن بعض المواقف السياسية لأستاذه والتي كانت تدعو إلى نزعة انسانية تنادي بـ" سلام راديكالي"، أو "السلام مهما كان الثمن". لقد كان الفيلسوف آلان منحازا إلى فلسفة عملية مؤسسة على القيم الانسانية الكبرى،الحرية والعدالة، والوعي والعقل،فأيقظ في طلبته روح النقد والرفض، ومناهضة النزعة العسكرية السائدة. وفتح الأبواب أمام تلامذته للتعبير والكتابة في هذا الاتجاه منذ عام 1921 حيث كان قد أسس جريدة أسبوعية أسماها"آراء حرة"(Libres Propos)، وهو المنبر الذي استغله كانغلام للدفاع عن فلسفة أستاذه، فكتب العديد من المقالات الرافضة للحرب، ولعسكرة المجتمع ، واعتبرها دمارا وتعطيلا لعملية التغيير، وكل من يدعو إليها فهو في الحقيقة من جهة، يدعو إلى زحف نحو الموت، يطال الطبقات البسيطة الفقيرة والمسحوقة، وإلى مجد وافتخار الطبقة البورجوازية المستفيدة منها من جهة ثانية، يقول:" إن الحرب تعظم حفلات الرقص وسهرات الأوبرا ، وترفع من شأن الاستعراضات الكولونيالية، والاحتفالات المختلفة،، كل هذا تصنعه الحرب، وهو في حد ذاته حرب"[1].ظل كانغلام وفيا لخط فلسفة آلان حتى منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين،لكنه سرعان ما ثار على هذه السلبية المفرطة، بعدما تبين له أن مبررات بقاء النزعة المسالمة لم تعد قائمة، بل إنها صارت شكلا من أشكال الاستسلام والقبول بالأمر الواقع، لقد تبين له أن الأوضاع قد تغيرت بوصول "هتلر" إلى الحكم في ألمانيا فعارض المد النازي، لأنه يحمل مشروعا عنصريا، وكان يقول :"لا يمكن أبدا التعامل مع هتلر".كما أن النظرة اللاتاريخية التي كانت مهيمنة عند آلان دحضها حدث الحرب العالمية الثانية، فتبين لكانغلام أن أستاذه لا يفهم جيدا حركية التاريخ، فهجر فلسفته[2].

واجمالا، فإن النزعة السلبية المفرطة عند آلان، هي التي جعلت كانغلام ينتفض ضدها، رغم بقاء نوع من الاحترام والود بينهما استمر حتى وفاة آلان عام 1951.

تجاوز كانغلام فلسفة أستاذه بفعل الاحتلال والمقاومة والاتجاه إلى دراسة الطب، فناقش أطروحته عام 1943 والموسومة بـ"السوي والمرضي"،وهو منخرط في صفوف المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي، حيث شارك ببسالة في معارك كثيرة مقاتلا وطبيبا معالجا للجرحى، وبعد التحرير، عاد ليواصل نشاطه العلمي والمعرفي في جامعة ستراسبورغ، وفي الفترة مابين 1948 و1955 تولى منصب مفتش عام للفلسفة، ليناقش أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ" تكوين مفهوم المنعكس في القرنين 17و18"عام 1955.

تولى كانغلام ادارة معهد تاريخ العلوم والتقنيات بجامعة السوربون التي كان يرأسها الفيلسوف والابستيمولوجي الفرنسي الشهير غاستون باشلار(Gaston Bachlard 1889-1962)،ليحال على التقاعد بعد ذلك عام 1971. عرف عنه

[1] -G. Canguilhem, "civilité puérile et honnête",Libres Propos,20aout 1929,p392.

[2] -Jean -Francois Braunstein , "Canguilhem avant Canguilhem",Revue d histoire des sciences ,2000 , 35/1;p16

المنارة للاستشارات

اخلاصه وصرامته وتفانيه وتواضعه ونكران الذات، وكان يعتبر نفسه ادنى من اولئك الابطال الذين عرفهم في ساحات الوغى، والذين ادوا واجبهم، مدافعين عن شرف الوطن والقيم[1].

كانت حياة كانغلام، ذات صبغة عملية خالصة، فهو من الفلاسفة الملتزمين، فمنذ بداية مشواره العلمي وهو يرافع من اجل قضية العدالة ، رافضا تلك الراسمالية المتوحشة، ومدافعا عن الحرية حتى اخر رمق من حياته، ولقد قدم لنا الفيسلوف الفرنسي ميشال فوكو(1926-1984)M.Foucault- وهو التلميذ المباشر لكانغلام-، على انه فيلسوف صارم وجدي، ومكانته مركزية في تاريخ العلم، وابستيمولوجيا العلوم الطبية والبيولوجية، حيث يقول:" في كامل النقاش الفكري الذي سبق حركة 1968 أو تبعه، من السهل أن تجد مكانا لأولئك الذين أخذوا من قريب أو بعيد، تكوينهم على أيدي كانغلام"[2].

ويضيف فوكو قائلا:" إن هذا الرجل صاحب الاعمال المضبوطة والمتنوعة، والموجهة اساسا الى تاريخ العلوم،الذي هو مجال متخصص جدا، يضع نفسه دائما خارج النقاش، فلا نجد كانغلام في نقاشات كانغلام"[3].

- **كانغلام والتأثير النيتشوي:** ربط كانغلام فلسفته بفلسفة نيتشه مند بداية تشكلها الأول،وفي عام 1932 نشر مقالا يعترف فيه برجوعه إلى نيتشه أو (فيلسوف المطرقة)، ولقد اعتبر الكثير من الدارسين ومن بينهم ستيغلر (Stiegler)،أن مفهوم المعيارية المركزي هو من أصول نيتشوية مع بعض التعديل بل إنها تذهب إلى أن:" كل المفاهيم الصحية وكذا المرضية التي في الإبيسبمولوجيا الكانغيلامية , هي نفسها المفاهيم النيتشوية فآلية إبداع مفاهيم جديدة لم تكن تمتلكها إبيبستيمولوجيا كانغلام , ومفهوم المعيارية نجد نيتشه قد عبر عنه بمفهوم الحياة كإرادة القوة " فلا يمكن انكار الجذور النيتشوية داخل النص الكانغلامي. إن معنى الحياة في السياق الفلسفي النيتشوي، يمكن الوقوف عليه عن كثب عند قراءتنا لكانغلام[4].

ب- **الأعمال والكتابات:** لم يكتب كانغلام كتب ومؤلفات طويلة، لأنه كان يمارس البحث الإبيبستيمولوجي المتخصص، كما كان مرتبطا في عمله بالواقع، لكنه كان جديا في طرح المشكلات. وفضّل أسلوب المقالات والمداخلات المركزة. ولقد تم جمع تلك المقالات والدروس في كتب ومختارات أثناء حياته، وبعد وفاته، ويمكن تصنيف أعماله على كثرتها وتنوعها إلى مرحلتين أساسيتين :

1 . أعمال ومقالات ما قبل دراسته للطب , وتحديدا ما قبل رسالته **" السوي و المرضي "**.

2 . أعمال ومقالات ما بعد **" السوي والمرضي"** .

أعمال المرحلة الأولى، لا تخلو من حماس واندفاع الشباب، ويبدو فيها تأثير أستاذه "آلان " واضحا . وأما أعمال المرحلة الثانية، فتتميز بوضوح الرؤية عنده،حيث نلمس دقة منهجية وتخصصا واضحا في إبيستيمولوجيا قطاعية، هي علوم الحياة " الطب والبيولوجيا " حيث تمحورت تلك المقالات والإعمال حول القيم والمعايير في الطب , و المعقولية الطبية و الحياة والحي والوسط .....إلخ , ويمكن اختصار حياة وأعمال هدا الفيلسوف الطبيب من خلال الوصف البليغ لتلميذه فوكو الذي يقول "هذا الرجل متقشف الإنتاج، ومحدد المجال عن قصد، إذ انتقاه بعناية ضمن حقل خاص في تاريخ العلوم، ورغم

[1] -B -Saint Sernin "Georges Canguilhem a la Sorbonne", revue de métaphysique et de morale,9eme annee,no 01,janvier- mars 1985,p91(numéro spécial consacre a Georges Canguilhem ,Gallimard , Paris ,2001)

[2] -Michel Foucault,"la vie:l experience et la science " revue de metaphysuque et de morale,9eme annee,no 01,janvier- mars 1985,p04(numero special consacre a Georges Canguilhem ,Gallimard ,Paris,2001)

[3] - ibid,p1582

[4] -Stiegler, " De Canguilhem a Nietzsche:La normativite du vivani", dans lectures de Canguilhem,le normal et le pathologique,G.Leblanc edition,Fontenay-aux-Roses,2000,p92.

المنارة للاستشارات

أنه ليس بمبحث ذائع الصيت،إلا انه في صلب المناقشات العلمية والفلسفية والتي يحرص كانغلام على أن لا يظهر فيها أبدا [1]."

2- جورج كانغلام: الفلسفة الطبية .

لماذا اختار كانغلام الطب كمجال للبحث الابيستيمولوجي، بالرغم من ادراكه انه حقل معرفي وفني بعيد عن الفلسفة، ويتميز بالصعوبة والتعقيد؟ .

إن الاجابة على هدا السؤال تقتضي الوقوف على تاريخية و مسار الفلسفة الفرنسية المعاصرة . وبالعودة إلى تلميذه الفيلسوف ميشال فوكو،الذي قسم الفلسفة إلى قسمين: فلسفة للتجربة والذات، وفلسفة للمعرفة والعقلانية و المفهوم :

يمثل القسم الأول، فلاسفة مشهورون أمثال **برغسون ولا شولي، و مان ديبيران**، وأشهر من يمثل القسم الثاني **باشلار ،وكويري و كانغلام**. وتمتد جذور هذه الفلسفة إلى **أوغست كونت و هنري بو انكاري**... . لقد أراد كانغلام تأسيس فلسفة علمية، تستلهم وضعية كونت، بل وتتجاوزها وتتحرر منها. هذه الفلسفة التي قررت أن تحصر إهتماماتها في مجال محدد وضيق من أجل فهم العقلانية العلمية من جهة،ورصد الخط العام الذي سلكه الفكر العلمي، والعقلانية الإنسانية على مر التاريخ من جهة ثانية. ولهذا نجد كانغلام ضمن هذا الجيل الذي تخصص كل واحد منه في حقل علمي معين .فكما أنه توجد إبيستيمولوجيا عامة تخص العلم ككل، كذالك نوجد إبيستيمولوجيا محلية أو جهوية، تهتم كل واحدة منها بالإشكالات المعرفية لكل علم على حدة [2]. فلكل علم إذن مشكلاته الخاصة به، فمثلا مشكلة تفرد الظواهر الحيوية في البيولوجيا هي مشكلة معرفية خاصة بالفكر البيولوجي لا يشاركه فيها سواه وهكذا في كل العلوم .

لقد توجه كانغلام إلى دراسة الطب خدمة للمشروع الإبيستيمولوجي، لا سيما وأن الطب وعلوم الحياة بصفة عامة، هي علوم حديثة النشأة، وتعد بمستقبل كبير . علاوة على كونها علوم أقرب إلى الواقع البشري اليومي و المعاش، فالطب والصحة يستأثران باهمام الإنسان والمجتمع..... وبالرجوع إلى الفلسفات في التاريخ نجد أنها كان تهدف إلى بناء أنساق ميتافيزيقية، إنطلاقا من إشكالية واقع معرفي معين، كما هو الحال مثلا عند فلاسفة اليونان الأوائل (طاليس , فيثاغورس , أنيكساغورس , أفلاطون , أفلوطين .....) .

إن الفيلسوف في نظر كانغلام لا يهتم بشؤونه الداخلية، فهو يتطلع إلى العلوم لكي يظل في علاقة وصفية ونقدية معها، ومن ثم، فالفلسفة بدون العلم والعلوم لا تملك موضوعا من أساسه، وهذا عكس العلوم فالكيميائي يهتم بالكيمياء، والفيزيائي يهتم بفيزيائه.... وكأن الفيلسوف عندما يهتم بإشكالات العلم المعرفية يكون كمن يتدخل في شؤون غيره، يقول كانغلام " إن الفلسفة تفكير، بالنسبة لها كل مادة غريبة عنها تعد صالحة، وأن كل مادة صالحة هي بالنسبة لها غريبة عنها "[3]. الفلسفة إذن في منظور كانغلام ليست إنتاجا لخطاب فكري جديد، بل هي تفكير موضوعه هو الخطابات العلمية واللاعلمية، كما أنها ليست تفكير في الفراغ أو هي منافسة للعلم، إنها تفكير حول العلم والثقافة، والأسطورة والمجتمع .

يعتبر كانغلام الطب أقرب علم إلى الفلسفة من أي علم آخر، فمن الناحية التاريخية لعبت الفلسفة دورا في نشأته وبلورة مناهجه وعلميته، ومن ناحية إبيستيمولوجية هناك وشائج تربط الطب بالفلسفة من حيث أسسه، لاسيما من ناحية

---

[1] -Michel Foucault"la vie:l experience et la science ",p1582.

[2] -Gaston Bachelard**: L'engagement rationaliste**,P.U.F,Paris,1972,p69.

[3] - G. Canguilhem: **le normal et le pathologique**,P.U.F,Paris, coll ."quadrige ",1993, (1[er]edition1966 , réédition de:**essai sur quelques problemes concernant le normal et le pathologique**,publication de la faculté des lettres de Strasbourg,1943,augmente de nouvelles reflexions concernant le normal et le pathologique 1963-1966),p09.

المنارة للاستشارات

فعل الشفاء الذي يؤسس الممارسة الطبية برمتها [1]. ولقد ألّح جان بياجي على دور "الأزمة" في بعث التفكير الابيستيمولوجي داخل العلم،حيث يقول : "إن المناسبات التي يظهر فيها دائما التفكير الإبستيمولوجي هي الأزمات التي يمر بها هذا العلم أو ذاك , وان علة هذه الأزمات هي الثغرات المتعلقة بالمناهج التي تستخدم في هذه العلوم، وأن تجاوز هذه الازمات مشروط بإختراع مناهج جديدة "[2].

وإذن، هل عاش الطب أزمة ؟.

يجيب العالم البيولوجي والفيلسوف **كلود برنار(C.Bernard)**،أن الطب يعيش الآن أخطر أزمة من ذي قبل فلقد كانت الأزمة فيما سبق، تكرس التبعية النهائية لعلم الطب للفيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) فالمرض عبارة عن خلل وظيفي أو كمي للحالة السوية، فلا وجود لاستقلالية وجودية للمرض، وهو ما أدى لاحقا بكلود برنارد إلى دمج الطب مع الفيزيولوجيا بصفة نهائية [3]. وأما الأزمة الحالية فيكمن بعدها الأول في عجز الفيزيزلوجيا في أن تكون أساسا للطب, فهي لم تقدم له من الناحية الفعلية والواقيعية أي جديد. لذلك لاحظ كانغلام أن الوضع كان مقلوبا في الأزمة الأولى، وحتى تكون الأمور طبيعية يجب الإعتراف أن الباثولوجيا هي أساس الفيزيولوجيا .فالمرض يجلب الإنتباه للوظائف الفيزيولوجية وقت إختلالها .إن هذا الطريق الذي يبحث في إسهامات ماقدمه الطب للبيولوجيا، غالبا ما يتجاهله الباحثون في مجال علوم الحياة, رغم أن المرض قبل أن يكون موضوعا للمعالجة، هو في الأصل تجربة فردية معاشة . ولقد تفاقمت الأزمة مع الفشل النسبي الذي لاقاه الطب من الناحية المعرفية والعلاجية، لذلك يقترح كانغلام ضرورة تحرير الطب ،وذلك بتغيير مركز الثقل فيه من المخبر إلى العيادة من جهة، وإحداث ثورة منهجية ومفاهيمية تجعل من الطب علم مستقل بذاته [4].

ألح كانغلام على الطابع الإنساني للطب، فهو العلم الوحيد الذي يبحث عن المعرفة لغاية العلاج والشفاء والتداوي، وهو ما يجعله قادرا على طرح مشاكل ومسائل إنسانية تتعلق بالمريض ومعاناته، وفي نفس الوقت يثير إشكالات أخرى معرفية تتعلق بعلاقة الطب بالعلوم الاخرى كالفيزيولوجيا و الكيمياء ....إلخ. يقول كانغلام: "إننا ننتظر من الطب على وجه ألتحديد، أن يلج بنا إلى مشكلات إنسانية حقيقية .. إن الطب كان يبدو لنا وما يزال، كتقنية أو فن في ملتقى طرق عدة علوم، أكثر منه علم مستقل وقائم بذاته "[5].

إن الطب بالنسبة لكانغلام، هو مدخل إلى قضايا إنسانية لطالما دارت حولها النقاشات الفلسفية، وهو كذلك، لأن جميع روافد المعرفة البشرية ومصادرها تصب فيه. فكل العلوم والتقنيات والفنون إنما تشكل استمرارا خارجيا ومتواصلا مع مختلف الوظائف الحيوية للإنسان التي غايتها حفظ البقاء، ولذلك ينظر كانغلام إلى التقنية على أنها تواصل واستمرار للوظيفة المعيارية للحياة .

إن الطب هو الوحيد الذي يجمع بين المعرفة والعلاج، ويجعل من الصحة والحفاظ عليها وإعادتها إلى المرض هدفه الأسمى. وهو لم يظهر أبدا مع الأصحاء الأسوياء بل مع المرضى المشوهين، فهو لم يدع أبدا أنه علم الصحة [6]. من وجهة نظر كانغلام فإن علم للصحة خاص بالسوي يقتضي القدرة على وضع وابتكار النماذج، وهذه القدرة لا تمتلكها إلا الفلسفة

[1] -D.Lecourt(sous direction):**Dictionnaire de la pensée médicale**, P.U.F,Paris."quadrige ",2004, pp548-549.

[2] - J.Piaget: **logique et connaissance scientifique**, Paris ,Encyclopédie de la Pléiade ,Gallimard ,1967 , pp 7-8.

[3] - Jean -Francois Braunstein ," **l école française de philosophie de la ledecine**",Revue des sciences philosophiques,tome74,Paris,J Vrin,janvier 1990,p 39.

[4] -G. Canguilhem: **" La nouvelle connaissance de la vie"**. in : Etude d histoire et de philosophie des sciences, p360.

[5] - G. Canguilhem: **le normal et le pathologique,** op. cit, p 07.

[6] - G. Canguilhem, **le normal et le pathologique,** op. cit, p 07.

المنارة للاستشارات

والحياة ذاتها [1]. فالصحة مفهوم فلسفي ولا يمكن حصرها وتحديدها موضوعيا ولا نستطيع إثبات وجودها إلا حين تغيب، وتلك هي المفارقة[2]. وعلى هذا الأساس تكون الفلسفة باعتبارها قدرة على إنتاج النماذج , هي وحدها القادرة فهم الصحة، لأن هذه الأخيرة هي حالة متعلقة بالحي والحياة اللذين هما بدورهما قدرة على إنتاج النماذج.

- مفهوم الفلسفة الطبية عند كانغلام:

يؤكد كانغلام أن موضوع الطب هو المرض والذي يتعذر على المناهج البيولوجية الإحاطة الكاملة به، لأن له جانب ذاتي يتعلق بالتجربة الذاتية للمريض، ومن الطبيعي أن يجد أنصار استقلال الطب عن البيولوجيا في هذا الموقف تأييدا لوجهت نظرهم، ويضيف كانغلام : " لا وجود لباثولوجيا موضوعية "[3]. لأن وجود الطب كان دائما مرتبط بوجود المرضى و الأمراض وليس العكس، وعلى هذا فالمرض ليس مجرد عارض بل هو بعد أساسي، ومكون رئيسي لماهية الحي. فالمقاربة العلمية الموضوعية للمرض لا تعتبر المرض حادثة مفصلية في حياة المريض، وبذالك فهي تتجاهل أهم شيء في الكائن الحي، لاسيما الإنسان وطبيعته المعيارية التي تؤهله لأن يكون شريدا خارج المعايير و القوانين في حال الصحة والمرض [4].

إن الطب والممارسة الطبية، أهل لاستقلالية تجعل من الضروري قيام إبيستيمولوجيا طبية أو فلسفة طبية. لكن إذا كانت الفلسفة تهتم بالطب فهل العكس ممكن ؟ أي هل يمكن للطب أن يؤثر في الفلسفة؟. لا شك أن الفلسفة المعاصرة التي تريد أن تفهم الإنسان ككل، قد استفادت من الطب باعتباره من أقدم العلوم التي تمس حياة الإنسان في الصميم .

إن تركيز كانغلام على الطب ومشكلاته المعرفية كإبستيمولوجيا جهوية، ليس هدفه منها الوقوف عند حد الطب والمؤسسات الطبيبة فقط، بل هدفه أبعد وأعمق، فهو يريد معالجة إشكالات البحث العلمي في علوم الحياة خصوصا في الطب و البيولوجيا والفيزيولوجيا، ومن ثمة المرور إلى محاولة فضح المؤسسات التي تدعي حماية النظام . إن كانغلام لا يريد معالجة الإشكالات العامة المتداخلة بالمضامين المعقدة، وإنما يريد دراسة علمية تتطرق من فحص عينة ثم محاولة إقامة فلسفة ذاتية انطلاقا من دراسة علمية للطب تأخذ بعين الاعتبار تفرد الكائن الحي .إن الطب و المؤسسات الطبية في تصور كانغلام يعاني من مشكلات خطيرة صرفتها عن مهمتها الأولى التي تأسست من أجلها. يحلل كانغلام ذلك من خلال مثال المستشفى : فالمستشفيات المعاصرة تعاني هيمنة الإدارة البيروقراطية عليها، و التي حادت بها عن مهمتها الأولى والتي هي تنظيم العلاج والشفاء. فعندما تصبح المؤسسة أولى من المهمة التي وجدت من أجلها، سيستشري الطغيان وتسود البيروقراطية، وعوض أن تكون مكانا لطلب الشفاء، تصير مكانا لإنتاج أمراض جديدة .إن اختيار كانغلام لمبحث الطب يبرره كون الفلسفة في نظره تبحث دوما عن إثارة و تسليط الضوء على مشكلات جديدة، أو إعادة طرح أخرى قديمة بناءا على المعارف الجديدة .

. المنهج الفينومينولوجي في الإبيستيمولوجيا : وظف كانغلام المنهج الإبيستيمولوجي بتحليل ونقد نشأة المفاهيم والمعارف الطبية، وعمد إلى تطعيمه بمنهجية أخرى تستهدف الكشف عن المعاني والماهيات، يقول أحد الباحثين عن هذه المنهجية :" إن كانغلام وحتى يضرب بقوة لا يهاجم تلك المؤسسات الطبية مباشرة كما يفعل عالم اجتماع التنظيمات، أو كما يفعل عالم النفس المختص في الإختلالات الوظيفية للجماعات إنه يقوم بتأمل فينومينولوجي خالص، ثم يرتقي إلى المشكلة الأساسية التي تؤسس هذا المركب . مصنع العلاجات . "[5]. إن المنهج الفينومينولولجي يأتي بعد أن يؤدي المنهج

---

[1] - G. Canguilhem, " **qu' est qu' un philosophe en France aujourd'hui?**",in: Commentaire, printemps1991 , repris dans: L.L Grateloup,Anthropologie philosophique, Paris, Hachette, pp338-339.

[2]- G. Canguilhem, **La sante concept vulgaire et question philosophique,** Toulouse, Sables,1998, p14.

[3] - G. Canguilhem, **le normal et le pathologique,** op. cit, p 156.

[4] - G. Canguilhem, **le normal et le pathologique,** in: la connaissance de la vie, op. cit, p156.

[5] - F.Dagognet,**Georges Canguilhem, philosophe de la vie**, Institut Synthélabo pour le progrès de la connaissance, le plessis Robinson(Essonne),1997 , pp 13-14.

المنارة للاستشارات

الإبيستيمولوجي . التاريخي مهمته التي تتمثل في البحث في المفاهيم الحيوية وظروف تشكلها، والإشكالات التي انبثقت عنها، فمثلا عند البحث عن الحي، يقوم المنهج الإبيستيمولوجي بالبحث عن شروط سويته، لكن إذا بحثنا عن الحي الإنسان من ناحية كونه وعيا وذاتا مركزية لا تقبل الاختزال في قوانين الوسط ولا في الآليات الفيزيائية . الكيميائية، فهنا يأتي دور المنهج الفينومونولوجي، ونستطيع القول أن اعتماد كانغلام على المنهج الفينومنولوجي هو بهدف الكشف عن معيارية الحي باعتبارها تمردا أو مروقا وقلقا. إن حاجة الفيلسوف إلى هذا المنهج هي من أجل إدراك ماهيات ومعاني تلك الأنشطة الحيوية بغية ربطها فيما بينها، ويمحورها حول قطب أساسي هو الحي الإنسان, فقبل العلوم والتقنيات والفنون، كان الحي، وكانت الحياة .

إن مفهوم السوي عند كانغلام، لا يكون إلا وفق معيار، وذلك المعيار يتنوع ويتعدد بحسب التجارب المعاشة. ومن ثمة فالمعايير تتميز بأنها ليست نهائية أو مطلقة. ومفهوم السوي لا يمكن أن يكون مفهوما جامدا أو ساكنا، بل يتغير بتغير المعارف المكتسبة والعلوم. يقول :"إن مفهوم السوي ليس مفهوما استاتيكيا أو مسالما، بل هو مفهوم ديناميكي وسجالي"[1]. والمرضي عند كانغلام ليس خروجا فوضويا عن معيار ثابت. إن المرض حالة جديدة من الحياة يعيشها المريض لها معاييرها الخاصة، وهي مستقلة عن الحالة السوية. و العلاج إن أتى بالشفاء، فإنه لن يعيد الحالة السوية الأولى، بل يأتي بحالة سوية جديدة. و إجمالا فإن المرضي عند كانغلام، ليس حالة طارئة من الحالة السوية، بل هو حالة أنطولوجية جديدة تتميز باستقلال في معاييرها وموازينها. إن المرض تجربة إنسانية أصيلة مثله مثل الصحة، إن المريض عند كانغلام مريض كله، وهو ليس مريض كالآلة بحيث يصيب قطعة من محركها عطب.إن المرض هو مرض الذاتية المتفردة المتآزرة .إن للذاتية دور بالغ الأهمية في تحديد السوي والمرضي، أو في العلاج والوصول إلى الشفاء. ولذلك كان من الضروري مشاركة المريض وتوعيته في الشفاء من مرضه، فإن كان غير مسؤول عن الإصابة بالمرض فإنه ليس كذلك في طلب حالة جديدة من التوازن(الشفاء) , إن المرض عند كانغلام يسمح بالولوج إلى معنى وماهية الحياة . وإجمالا فالحي البشري عند كانغلام سواء كان سويا أو غير سوي، يعيش وفق ذاتية متفردة قوامها معيارية مبدعة لمعايير وقيم جديدة، تختلف في حالة المرض عنها في حالة الصحة في درجة خصوبتها وقدرتها على الإنتاج والابتكار .

☚- **الطب والبيولوجيا :** حين يتساءل كانغلام عن ماهية الممارسة الطبية وماهية العلاج، يريد من خلال ذالك فضح الممارسات البعيدة عن روح الطب والمعرفة والعلاج . فالمؤسسات التي أنشأت من أجل الصحة والمريض تحولت مع مرور الزمن، إلى أجهزة بيروقراطية ذات بعد إداري و إجرائي بطيء ، غابت فيها الصحة وهمش فيها المريض[2].

لا يخفي كانغلام إذن امتعاضه تجاه المؤسسة الطبية، حيث طغيان الإجراءات الإدارية التي غطت عن معاناة المريض، وكأن المريض لم يعد غاية في ذاته، بل صارت الغاية هي تسيير هذا الجهاز الثقيل [3].

إن الكائن الحي البشري لا يدل نشاطه على مجرد استجابة محلية كما تذهب المدرسة الترابطية في علم النفس، فهذه الإرتباطية في رأي كانغلام لا تصلح لتفسير الكائن الحي، لأنها تختزله في خطاطات مجردة على شكل منبه . استجابة، ذلك لأن الحي لا يحيى إلا ككل، وموته تعني تفكك ذلك الكل، بحيث يذهب كل جزء إلى حال سبيله بحسب قوانين المحيط والبيئة، يقول كانغلام : " إن العضوية الحية هي نمط من الوجود يتميز بالحضور الدائم، والهيمنة المتواصلة على جميع أجزائها وفي كل واحد منها، فخصوصية العضوية تكمن في أنها تحي ككل، ولا تقدر على الحياة إلا ككل" [4].

إن تصور كانغلام لسلوك المعيارية البيولوجية ككل، ورفضه للنزعة الترابطية كان بفعل قراءته لعالم بيولوجي، هو غولدشتين، ولفيلسوف وجودي هو ميرلوبونتي. بعد مضي عشرين عاما عن صدور كتابه الأساسي الأول (السوي والمرضي)،

[1] - G. Canguilhem, **le normal et le pathologique,** op. cit, p 116.

[2] - F.Dagognet, **Georges Canguilhem, philosophe de la vie**,op.cit,p 09.

[3] -Idem, pp 13-14.

[4] - G. Canguilhem, " **Le problème des régulations dans l'organisme et dans la société**",cahiers de l'alliance israélite universelle ,n° 92,sept- oct. 1955, p 68.

المنارة للاستشارات

يعاود كانغلام فتح إشكالية السوي والمرضي من جديد لتأكيد وترهين افكاره المختلفة الواردة في ذلك الكتاب، في ضوء المستجدات العلمية والواقع العلمي،الذي عرفته علوم الحي والحياة، وفي طليعتها الطب والبيولوجيا. ففي عام 1963 قدم كانغلام درسا عنوانه (تأملات جديدة تخص السوي والمرضي)،حيث طرح نفس الإشكالية ونفس الأطروحة. الإشكالية هي (السوي والمرضي) و الأطروحة هي (المعيارية الحيوية) لكن من منظور مغاير يتعلق بعلاقة المعيارية الحيوية بالمجتمع والحياة الاجتماعية .

يستهل كانغلام التحليل و المعالجة، برفضه لتلك النزعة العضوية التي تؤكد على الإتصال بين الظواهر البيولوجية والظواهر الاجتماعية، وهي النزعة التي أعطاها كونت صبغة علمية. كما رفض كانغلام أيضا الفكرة الوضعية الزاعمة أن المجتمع يشبه الوضعية الحية في شكله، وأدائه لوظائفه أو هو امتداد لها .

ويعترف كانغلام أن بين المجتمع والعضوية الحية الكثير من التشابهات، إلا أن ذلك لا يسمح ببناء تصور نظري يبني أحدهما على نموذج الأخر ،أو أن فهم أحدهما يؤدي إلى فهم الأخر . فمفهوم الضبط لدى أنصار العضوانية الذي بنو عليه تصورهم النظري، القاضي بوجود تماثل في الشكل والوظيفة بين الظواهر الحية والظواهر الاجتماعية، على اعتبار أن كليهما مزود بآلية تسمح لهما بالتوازن العام والحفاظ عليه. قارب كانغلام بين العضوية والمجتمع، وخصائص العضوية السوية والمرضية، والمجتمع السوي والمرضي، ولاحظ أن في حالة العضوية تكون المعايير ذاتية خاصة بالعضوية ذاتها . " فالكائن الحي البشري يكون مريضا إذا كان يعاني من اختلال وظيفي أو عضوي حقيقي مصاحب بشعور المعاناة والألم و المشقة، بمعنى أن نموذج الحكم على سلامة العضوية ليس نموذجا خارجيا مستقلا عنها، بل هي نموذج نفسها "[1].

وفي المقابل، في حالة المجتمع نكون أمام معايير خارجية، أي ليست نابعة من المجتمع ذاته، وخلافية أي تتعدد في الحكم على حالة المجتمع، بحكم تعدد أسباب وعوامل إيديولوجية، ولذلك فإن نموذج المجتمع ليس فقط خارجا عن المجتمع , بل المشكلة أنه غير قابل للتصور وغير معروف[2]. والمفارقة الكبرى تظهر حين يكون الاتفاق على تشخيص الاضطرابات والأزمات، ووقوع الاختلاف حول طريقة العلاج المثلى. إن رفض العدوانية لأنها إيديولوجية علمية، فهي نزعة تسحب وتستعير مفاهيم وأنساق نظرية من مجال معرفي هو البيولوجيا، وتسقطها على مجال معرفي أخر هو علم الاجتماع . ينتهي كانغلام إلى نتيجة لخصها في قوله " عذرا سوف أصدمكم , إن المجتمع لا يملك غائية خاصة به , إنه وسيلة , المجتمع ضرب من الآلة أو الأداة أكثر منه عضوية "[3]. وعلى العكس من ذلك، تتمتع العضوية الحية بذالك الانسجام والتناغم،وتتلقى ما يكفيها من غذاء وأوكسجين بعدالة تكاد تكون مطلقة. هذه العدالة البيولوجية هي التي أطلق عليها العالم" **كانون**" (حكمة الجسد).أما حينما نتأمل المجتمع، فالعدالة فيه تفرض بالقوة والقانون، ومن ثمة فإن الحالة الطبيعية السوية للمجتمع هي، الفوضى و الأزمات و القلاقل، لأن الأفراد والجماعات غالبا ما تعترض تلك العدالة، فالمجتمع إذن لا يملك طبيعة، أو مثلا أعلى يضبطه أو يعيش وفقه .

يرفض كانغلام إذن، وجود معيارية اجتماعية بكيفية نهائية، ومن الواضح أنه لم يحل المشكلة المتعلقة بالمجتمع، واكتفى بالإلحاح على وجود معقولية علمية تتعدد بتعدد المجالات المعرفية، مرافعا على ضرورة عدم الإسقاطات والتداخلات،كي لا تتحول إلى إيديولوجيات تعرقل الفكر العلمي، عكس المعيارية الحيوية تماما التي تصلح لتفسير إشكالية التوفيق بين المتناقضات، أو الجمع بين الحلول المتوازية، فالعضوية الحية باعتبارها نظام غائي، هي نموذج ومثال .

إن أصول ومصادر المعيارية الحيوية عند كانغلام، نابعة من قراءاته المستفيضة والعميقة للأعمال العلمية و الفلسفية المؤثرة في أفكار عصره، وهو كما يذكر في كتابه "السوي والمرضي"، مدين لعالم الأعصاب الألماني غولدشتين

[1] - G. Canguilhem, " **Le problème des régulations dans l'organisme et dans la société**",p 67.

[2] - Ibid,p 68.

[3] - Ibid,p 71.

المنارة للاستشارات

صاحب كتاب "بنية العضوية" (1934) ،حيث استلهم بعضا من الأفكار ، ،ومن بعض النظريات في علم النفس التي طبقها في مجال الطب وفي فيزيولوجيا الأعصاب، كما لا يخفي كانغلام اعترافه بقرائته للفيلسوف الوجودي الفرنسي موريس ميرلوبونتي خصوصا كتابيه" فينومينولوجيا الإدراك" و"بنية السلوك" .

إن المعيارية الحيوية عند كانغلام، تتميز بأنها قدرة إبداعية مجددة وليست إحتفاظية خالصة، كما يمكن اعتبارها فلسفة مبنية على معطيات ووقائع الطب والبيولوجيا، دون أن يعني ذلك التدخل في تلك الوقائع أو تغييرها. إنها فلسفة تقترح قراءة منهجية جديدة للحي بصفة عامة، والإنسان بصفة خاصة. إنها أيضا "أنثروبولوجيا بيولوجية" تحاول أن تفهم وتفسر الأبعاد المختلفة للإنسان من خلال الحياة .

☚- **المعقولية الطبية :** يأتي كانغلام في طليعة الأطباء و الفلاسفة الذين اهتموا بمكانة الطب في المنظومة التقنية المعاصرة، فالطب في رأيه هو فن قبل أن يكون علما، له موضوعه المستقل الذي هو المرض . ومسألة الطب هل هو علم أو فن قديمة الطرح . فتصنيفه مع الفنون يعود إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو الذي ميز بين المعرفة والتقنية، وكان حين يتحدث عن(الفن)و(الصناعة)،ويذكر الطب كمثال على ذلك . يقول كانغلام :" إن الطب يبدو وما يزال كذلك، كتقنية أو فن في ملتقى طرق علوم عدة، أكثر من كونه علم مستقل وقائم بذاته "[1] . لكنه رغم ذلك له معقولية خاصة به. إن الطب العلمي أو التجريبي الذي نشأ في القرن التاسع عشر، والذي تخلى عن التقليد الطبي الكلاسيكي، وإتجه إلى تفسير الأمراض توجها وضعيا ,يعتبره كانغلام، أنه بدأ نظريا مع كلود برنارد فقط. أما من الناحية العملية فهناك جهود سابقة لعبت دورا حاسما، لقد بلغ الطب موضوعيته وقمته العلمية حسب كانغلام، مع اكتشاف وتوظيف علم البكتيريا الذي أدى بدوره إلى اكتشاف ونشأة علم آخر، هو علم المناعة. ويذكر كانغلام بعض العقبات التي اعترضت مسيرة الاستدلال الطبي، والتي تم تجاوزها من خلال معقولية جديدة "**لا برناردية**" (Non -Bernardienne)كما يقول كانغلام، تأسست على أنقاض العجز البرناردي.

هل ينصب إهتمام الطبيب على المريض أم على المرض ؟.

لا يخفي كانغلام عدم رغبته في المنحى الذي اتخذته المعقولية الطبية، عندما حصرت اهتمامها في المرض حيث يكون الخاسر الأكبر في هذه العملية هو المريض. فبدأ بالتأكيد على أن الطب لم ينشأ مع الأفراد الأسوياء ، وإنما نشأ مع المرضى [2]. ويخلص كانغلام إلى نتيجة مفادها : "لا توجد الأمراض , بل يوجد المرضى "[3].

إن الشفاء من الأمراض والحفاظ على الصحة من الأهداف الأساسية للطب، وبحسب حركية الظواهر الحيوية وأحوال الصحة والمرض، يعتقد كانغلام أن الشفاء حالة جديدة، لأن المعيارية تنشد باستمرار حالات توازن جديدة ،والعلاج الذي يقدمه الطبيب لا يجلب بالضرورة الشفاء، لأن العلاقة بين ذلك الفعل وحالة الشفاء تقوم على الصدفة والاتفاق، ولذلك فإن الطبيب الواعي هو الذي يؤكد لمريضه أن العلاج الذي يقدمه له ليس سوى تجربة جديدة، يقول كانغلام :" إن الالتزام الأول للأطباء بصفة عامة تجاه مرضاهم، هو أن يعترفوا علانية بالطبيعة الخاصة لأنشطتهم العلاجية، وهي أن المعالجة في الحقيقة هي القيام بتجربة .....وفي الشفاء مسؤولية فردية على المريض القيام بها، انطلاقا من قبول المرض، إلى الثقة والإقبال على الشفاء، مرورا بالموافقة على العلاج. فالطبيب تتوقف مسؤوليته عند حد توفير الشروط الموضوعية الممكنة للعلاج، بينما هناك شروط ذاتية لا يصل إليها الطبيب، تقع على المريض مسؤولية التكفل بها [4].

---

[1] - G. Canguilhem, **le normal et le pathologique,** op. cit, p. 07.

[2] - G. Canguilhem, **le normal et le pathologique,** op. cit, p 139.

[3] - Ibid,p 139.

[4] - G. Canguilhem, " **Une pédagogie de la guérison est elle possible?** ",Nouvelle revue de psychanalyse , XVI, 1978, p 13.

المنارة للاستشارات

وإذا كان العلاج في حقيقته تجربة جديدة فما هي مبررتها ؟ ومن يتحمل مسؤولية فشلها : هل هو الطبيب ؟ أم المشرع ؟ أم المؤسسة الطبية ؟

تأصيلا لتحقيق تحليل إبستيمولوجي وأخلاقي، يعود كانغلام إلى الفيلسوف الألماني كانط (1724. 1804) الذي يصنف الطب إلى جانب الإلهيات والحقوق، باعتباره مجالا أكثر حرية, فالطبيب لا يخضع لالتزامات أو قوانين أو مبادئ تنظيمية وانضباطية عكس الحقوقي أو اللاهوتي . ولذلك فمهنة الطب باعتبارها فن تتدخل في أدائها مهارات ومؤهلات الطبيب، إلى جانب مكتسباته العلمية و المعارف التي حصلها . ومن أخلاقيات الممارسة الطبية منع التجربة الطبية العشوائية، وحظر الجراحة على الحي الإنسان على غير الطبيب المتخصص. و يؤكد كانط أن مسؤولية التدخل أو التجريب لا تقع على الطبيب وحده (حين اجتهاده) بل تتعداها إلى رجل القانون، ورجل الدين والسياسي، وقد حدث ذلك مع بعض الأمراض المعدية كالجذري. فتجربة الكشف عن العلاج وإنتاج معرفة أولية عن المرض، مسؤولية مشتركة تتحمل تبعاتها جهات متعدد .

يؤكد كانغلام على مشروعية وراهينية وجدية الاعتبارات الأخلاقية الكانطية، فينبغي وضع جملة من الالتزامات تكون عبارة عن قواعد يسير بمقتضاها الأطباء الممارسين ويلتزمون بها . ومنه فإن الطبيب حينما يجرب في العلاج، فإن تلك الإباحة تتأسس من الناحية الأخلاقية في كونها من أجل المريض .

يخلص كانغلام إلى ضرورة إصلاح تعليم الطب، من خلال التأكيد أن ذلك التعليم يبدأ بعلم الأمراض و الباثولوجيا، لأن الفيزيولوجيا عاجزة , حيث يقول :"يقدم لنا تاريخ الفيزيولوجيا العصبية و الفيزيولوجيا الغددية أمثلة حاسمة عن حالات كان الكشف فيها عن الاضطرابات والإختلالات الوظيفية، يتوقف على الملاحظة العيادية واستقراء علل الأمراض، وفي الوقت الذي يجهل فيه الفيزيولوجيون ابتداء , الميكانيزمات السوية الضابطة التي اختلت أو انحرفت "[1].

☚- **المهمة الجديدة للفلسفة :** تضطلع الفلسفة حسب كانغلام بمهمتين أساسيتين كاملتين : تتمثل الأولى في المسايرة عن كثب لحركية الفكر العلمي، حتى وإن بدت في تلك المهمة أنها متطفلة في نظر البعض، إلا أن ذلك في الواقع يتوافق تماما مع روحها التي تعني الإهتمام إلا بما يعنيها، و أما الثانية فتأتي بعد ذلك، أي بعد حصد الوقائع والمعطيات وترتيبها، وهي مرحلة ينعتها كانغلام بلحظة الإقلاع .

يتبنى كانغلام بعض الأفكار النيتشوية على هذا الصعيد، ومنها الفكرة القائلة بأن العلم هو نشاط من بين أنشطة أخرى كالفن والأخلاق، وأن المعرفة العلمية ليس لها الأولوية على بقية الأنشطة الأخرى .فكما أن الأخلاق فضيلتها الخير، والدين فضيلته الخلاص، فإن العلم فضيلته الحقيقة. وهذه الأخيرة ليست أكثر من قيمة من بين القيم الأخرى . يستنتج كانغلام من هذا الفهم النيتشوي للحقيقة، إلى التصريح صادم مفاده " لا توجد حقيقة فلسفية "[2]، ففكرة الحقيقة ليست من فضائل الفلسفة ولا من غايتها، إنها قيمة تخص العلم. ولما كانت الفلسفة ليست نشاطا معرفيا، فهي إذن ليست بحاجة إلى الحقيقة كشرط لقيامها،ولكن هذا لا يعني الحط من قيمتها، بل يضعها في مقامها الصحيح. وهو البحث عن المعنى والماهية و الطبيعة وهو ما يجعلها نشاطا " ما بعد معرفي ". إنها في تصوره بمثابة حكم بين مختلف الأنشطة البشرية، إنها تنسق بين القيم .

لكن ما علاقة الفلسفة بالحياة البيولوجية ؟

لا شك أن كل المحاولات الفلسفية عن الحياة ظلت دون جدوى لغاية الآن، ولذلك يعتبر كانغلام أن الحي يمكن أم يكون موضوعا لبحث فينومينولوجي، مما يسمح بتبرير الكشف عن معنى الحياة . والماهية عند كانغلام سابقة ومحايثة للبنية

---

[1] - G. Canguilhem," **la constitution de la physiologie comme science" ,** in: C.Kayser (sous la direction) ,physiologie, tome1: **historique, fonction de nutrition**, Paris, Flammarion,(2eme édition)1970,p.20.

[2] - G. Canguilhem, **"Philosophie et science" ," Philosophie et vérité** ",Cahiers philosophiques, hors série , juin 1993 ,p 28.

المنارة للاستشارات

البيولوجية للكائن الحي، وهي مشتركة بين الأحياء. وأما المعنى فهو لاحق، ومن ثمة فهو مضاف وخارجي، وهو يتوقف على الحي الإنسان فقط. وإجمالا فإن ماهية الحياة عند كانغلام تقوم بقدرتها المعيارية المبدعة المنتجة للمعايير، كما يكمن معنى الحياة في إعتبار الحي الإنسان، مركزا وذاتا متميزة عن محيطها ومتفوقة عليه.

تتميز المعيارية الحيوية عند كانغلام بأنها :

. تعبر عن قدرة مزدوجة (الضبط والتمايز)يقول :"إن الحياة هي تقويم للأشياء والتجارب والخبرات، كما أنها اختيار و رفض، لوسائل ووضعيات وحركات "[1]

. اندفاعية من جهة، وإنكفائية من جهة أخرى.

. هي قدرة حر تجعل الحي متفردا ويحيا خارج المعايير، فكل موقف يعيشه هو خبرة جديدة يحياها لا يشاركه فيها أحد آخر، فالصحة مثلا ،حالة ذاتية لا تقوم وفق معيار خارجي، وحالة المرض لا يقررها الطبيب بل المريض، بناء على وعيه وشعوره بالألم والمعاناة. فالتجربة الفردية هي العامل الحاسم في تحديد الصحة والمرض.

وبالعودة إلى ثنائية الطب والبيولوجيا، يؤكد كانغلام أن الطب باعتباره علم الإنسان المريض، والبيولوجيا باعتبارها علم الإنسان المعافى، فهما معا أدوات أساسية لتأسيس أنثروبولوجيا تجمعهما وتتجاوزهما في نفس الوقت. فالفيزيولوجيا في تصوره لا تستطيع أن تستوعب الطب داخلها، والباثولوجيا هي مبحث أولي سابق على المعرفة الفيزيولجية، وهي الأساس الذي تبنى عليه. يقول كانغلام عن هذه الأنثروبولوجيا البيولوجية "إن البيولوجيا البشرية والطب، هما بالفعل أجزاء ضرورية لـ (الأنثروبولوجيا)، لكننا نعتقد كذلك أنه لا توجد أنثروبولوجيا لا تفترض الأخلاق، بحيث أن مفهوم السوي في النظام البشري، يبقى دائما مفهوما معياريا وذا أبعاد فلسفية خاصة "[2].

فإذا كانت الأنثروبولوجيا الإنسانية تقتضي أنه لا يمكن دراسة الانسان إلا من خلال أنشطته الثقافية والاجتماعية (الرموز . اللغة . المعتقدات . الطقوس ....)، وإذا كانت الأنثروبولوجيا تعتبر المعايير والأنساق الثقافية منطلقات لفهم الحي الإنسان، فإن أنثروبولوجيا كانغلام تفترض أن دراسة الإنسان يجب أن تنطلق من قاعدة أساسية أولية هي، الحياة والظواهر البيولوجية والحيوية التي تميزها، وتلك المعايير والأنساق هي نتاج قوة حيوية سابقة هي، الحي الإنسان فالانثروبولوجيا إذن، تدرس الإنسان ككائن حي والكيفية التي توصل بها إلى إبداع تلك المعايير والأنساق، والرموز والفنون ... إلخ

3- خاتمة: في ختام هذه الورقة، يمكن تسجيل ملاحظة أساسية وهي، أن فلسفة كانغلام لا تبتعد كثيرا عن فلسفات الذات والميتافيزيقا، وفلاسفتها معروفون بمعارضتهم للمعقولية العلمية، ومن أشهرهم نيتشه وبرغسون وميرلوبوني... والسبب في هذا التوافق هو اختيار كانغلام للطب كمجال لأبحاثه ودراساته، فالطب من جهة علم انساني في تركيزه على المريض ومعاناته، يبدو أنه أساس فلسفة ذاتية متعددة الأبعاد: أخلاقية وبيولوجية ووجودية....، ومن جهة ثانية ، هو علم وضعي يتجاوز المريض إلى الطبيب والمؤسسة الطبية.

إن في ادراك كانغلام إلى هذه الطبيعة المزدوجة المعقدة في دراسته للطب (الفلسفة والعلم)، ما يجعل منه فيلسوف و" دكتور في الطب" كما يصف نفسه، استطاع تقريب المسافة بين تياري الفلسفة الفرنسية المعاصرة : تيار المفهوم والعقلانية، وتيار الذات والتجربة.

✦- الاحالات:

1 - المصادر:

أ- كتب:

[1] - G. Canguilhem, "**Vie**" ,Encyclopédie universalis, Paris, corpus 23,1996, p. 552.

[2] - G. Canguilhem, le normal et le pathologique, op. cit, p 169.

المنارة للاستشارات

- G. Canguilhem, **le normal et le pathologique**, P.U.F,Paris, coll ."quadrige ",1993, (1erédition 1966 , réédition de:**essai sur quelques problèmes concernant le normal et le pathologique** , publication de la faculté des lettres de Strasbourg,1943,augmente de nouvelles réflexions concernant le normal et le pathologique 1963-1966 .

ب- مقالات:

1- G. Canguilhem**, "civilité puérile et honnête**",Libres Propos,20aout 1929.

2 -G. Canguilhem: **" La nouvelle connaissance de la vie"**. in : Etude d histoire et de philosophie des sciences.

3- G. Canguilhem, " **qu' est qu' un philosophe en France aujourd'hui?**",in: Commentaire, printemps 1991 , repris dans: L.L Grateloup, Anthropologie philosophique, Paris, Hachette.

4- G. Canguilhem, " **Le problème des régulations dans l'organisme et dans la société**",cahiers de l'alliance israélite universelle ,n0 92,sept- oct. 1955.

5- G. Canguilhem, " **Une pédagogie de la guérison est elle possible?** ",Nouvelle revue de psychanalyse , XVI, 1978.

6- G. Canguilhem," **la constitution de la physiologie comme science** " **,** in: C.Kayser (sous la direction) ,physiologie, tome1: **historique, fonction de nutrition**, Paris, Flammarion,(2eme édition)1970.

7- G. Canguilhem, **"Philosophie et science" ," Philosophie et vérité** ",Cahiers philosophiques, hors série , juin 1993.

2 - المراجع:

أ- كتب :

1 -Gaston Bachelard**: L'engagement rationaliste**, P.U.F,Paris,1972,.

2 -D.Lecourt(sous direction):**Dictionnaire de la pensée médicale**, P.U.F,Paris."quadrige ",2004

3- J.Piaget: **logique et connaissance scientifique**, Paris ,Encyclopédie de la Pléiade ,Gallimard ,1967..

4. - F.Dagognet,**Georges Canguilhem, philosophe de la vie**, Institut Synthélabo pour le progrès de la connaissance, le plessis Robinson(Essonne),1997.

ب- مقالات:

1 -Jean -François Braunstein , "Canguilhem avant Canguilhem",Revue d histoire des sciences ,2000 , 35/1

2- Jean -François Braunstein ," **l école française de philosophie de la médecine**",Revue des sciences philosophiques, tome74,Paris,J Vrin,janvier 1990

المنارة للاستشارات

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

3-B -Saint Sernin "Georges Canguilhem a la Sorbonne", revue de métaphysique et de morale,9eme annee,n° 01,janvier- mars 1985,p91(numéro spécial consacre a Georges Canguilhem ,Gallimard , Paris ,2001)

[4] -Michel Foucault,"la vie:l experience et la science " revue de métaphysique et de morale,9eme annee,n° 01,janvier- mars 1985,p04(numéro spécial consacre a Georges Canguilhem ,Gallimard ,Paris,2001) .

المنارة للاستشارات